تجيب عليها: الأديبة الشاعرة.. سعاد الناصر «أم سلمى»*

الأدب الإسلامي قادر على الإصغاء لنبضات الواقع وإعادة تشكـ

إذا كان عصر «المودة والعولمة والأنترنت»، قد فرض على الكثيرات من أديبات العصر، التنصل من أنوثتهن، والارتقاء على وَهمْ الرجولة، طمعا في النجومية، أو الظفر بذرة اهتمام.. وفي النهاية وجدن أنفسهن معلقات في شرنقة جنس ثالث، شاذّ على المجتمع، سمج في علاقاته الطبيعية والإنسانية.. فإنّ أخريات أبين هذه المساومة الرّخيصة، ودافعن عن أنوثتهن الأدبية والفنية باستماتة إبداعية محضة. مكنتهن - وباستحقاق - من ولوج هذا المجال، ومقاسمة الرجال، ما كان يبدو - في زمن مضى - حكراً عليهم. لكن من داخل أنوثتهن، الرافضة للتهميش والإقصاء.. لا من داخل معترك مستعار.. وبطبيعتهن لا بأصباغ الغير.. وعلى سبيل المثال لا الحصر، أستحضر هنا بعض هذه الأسماء التي حلقت في سماء الأدب الإسلامي، وإن كان غيرهن كثيرات مثل: الأخت الشاعرة: «عليّة الجعّار»، والأديبة المجاهدة: «أمينة قطب» من مصر.. وكذا الأخوات الأديبات: «فاطمة خليل» و«سعاد الناصر» «وأمنية المريني».. من المغرب.

ويسعدني اليوم، أن أستضيف إحداهن - وإياكم، على مأدبة: أسئلة التأصيل.. وكلي أمل في أن نلتقي بأخريات في المستقبل القريب إن شاء الله.

■■ الأخت أم سلمى.. من خلال تجربتك الأدبية في إطار الأدب الإسلامي هل استطعت أن تعبري عن مشاعرك وتترجميها إلى لغة إبداعية قابلة للتواصل؟ وإلى أيّ مدى، يضيق أو يتّسع فضاؤه العام، أمام أحلامك وآمالك؟ وأخيرا كيف تتصورين أو تريدينه أن يكون؟

●● أعتقد أن السؤال ينقسم إلى شطرين:

١- مدى استطاعة الأدب الإسلامي التعبير عن مشاعر المرأة وترجمتها إلى لغة إبداعية قابلة للتواصل

٢- ماهية تصوري لهذا الأدب وأحلامي حوله؟

بالنسبة للشطر الأول، فإني أود أن أقف عند نقطة معّينة، وهي أنّ المرأة إنسان، يتمتع بالرقة وشحنة إضافية من

سألها: المداني عدادي

بلغة إبداعية تختلف في قوتها بحسب حرارة التجربة نفسها

العاطفة. وإذا كانت هذه المرأة أديبة فهي آنذاك تفيض بما يموج في نفسها ووجدانها من مشاعر، سواء أكانت إحساسا بالجمال والتغني بحبه، أم كان إصغاء لنبض الواقع وإعادة تشكيله، شأنها في ذلك شأن الرجل الأديب.

وتجرّع جرعات مفرطة من العاطفة يصرف المرأة الأديبة عن ذاتها، باعتبارها إنسانا يمارس حقّه الطبيعي في تأسيس عالمه الجمالي في علاقته المتناغمة مع المدلولات الإنسانية ـ لتظلّ هائمة في محراب سوق العرض والطلب، أو في فضاء الصراع المفتعل بينها وبين الرجل

بالنسبة إليّ، فقد عملت على الخروج من هذه الشرنقة إلى رحاب الإنسانية، دون التخلي عن موقعي: امرأة معتزّة بدينها وبنفسها، تؤدّي رسالتها في الحياة، باعتبارها شريكة الرجل في خلافة الله في الأرض.

وبما أنّي قد أعطيت لنفسي الحقّ بحمل القلم، فإني مسؤولة عمّا يخطّه أمام الله أوّلاً وأمام الإنسانية ثانيا. وإحساسي بهذه المسؤولية قد حصّن رؤاي من الهيمان، وخوّل لي الانطلاق في آفاق ما نصطلح عليه «بالأدب الإسلامي».

وربط أدبنا بديننا الإسلامي لا يعني أننا مجبرون على التقوقع داخل إطار محدّد سلفاً ـ لأن هذا لن يثمر سوى أدب مفتعل، قد يتضمن مضامين جميلة وراقية، ولكن لن يصل إلى القلوب ولن يخترق المشاعر، وإنّما يعني أنّ الأديب المسلم ـ رجلاً كان أم أمرأة ـ من المفترض أن تسري في دمائه قناعات إيمانية، وأن يعمل دائما على تهذيب نفسه وإشباعها بالرّوح الإسلامية التي تجعله ينفر بشكل عفويّ وطبيعي من كلّ ما يناقض هذه الروح، وبالتّالي ينطلق أدبه حرّاً في سماء الإبداع دون أن تحدّه أيّ ضوابط إلزامية، وإنما تدفعه نسمات التصّور الإسلامي ليفيض بما يتناغم مع قيم الجمال والحقّ والعدل والحرية.. ويعيش في قلب الواقع وتلافيفه، كما يجوب آفاق الحلم وتضاريسه بفنّية وجمالية ملائمة.

انطلاقا من هذا يمكن القول: إن تصوّراً له هذا الفضاء الشاسع من الحرية لاشك أنه قابل لاحتضان مختلف المشاعر، وقادر على الإصغاء لأدق نبضات الواقع، وإعادة تشكيلهما بلغة إبداعية، قد تسمو وقد تضعف حسب حرارة التجربة الإبداعية نفسها، وحسب القدرات الذّاتية للمبدع، ومدى استطاعته مدّ التّواصل مع المتلقّي.

أما بالنسبة للشطر الثاني من السؤال فإني أتصور أن الأدب الإسلامي قد استطاع ـ من خلال نماذج متعددة ـ أن يعيد للكلمة دورها ووظيفتها في سلم الحضارة، بعد أن غرقت طويلاً في مستنقع الملذّات، وتعرية العورات، وأنتجت صوراً مغموسة في الانحلال والعبث والضياع.

ولذلك فإني أرجو ألاّ يظل الأدب الإسلامي مرتبطاً بالدّعوة فقط ـ وإن كان هذا جزءاً من مسؤولياته ـ وأن يُطلق العنان للخيال بأجنحته المضمّخة بالرؤية الإسلامية، ليجوب مختلف الأغراض ابتداء من أدق العلاقات الذاتية والإنسانية إلى أوسع القضايا الحضارية؛ حتّى يستطيع تلبية أشواق شرائح متعدّدة من الناس. كما أرجو أن تتسع العناية أكثر بأدب المرأة المسلمة وتشجيعها للخروج من شرنقة التّهميش والحذر التي وضعت نفسها فيهما.

---

* أديبة وشاعرة مغربية. عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية